

## (( أساسيات الطب ))

د. حسن بيحي

### الطب البدائي Primitive Medicine :

إن الإصابة بالمرض هي من أوائل الأخطار التي واجهت الإنسان منذ بدء الخليقة ، كان إنسان ما قبل التاريخ يعتبر المرض لوناً من عقاب الآلهة أو مساً من روح شريرة أو شيطان Evil Spirit وقد عزا الإنسان القديم المرض إلى السحر فلا جرم أن يحاول الإنسان مداواة السحر بالسحر فأصبح الساحر هو طبيب القبيلة.

إن المرض كان يُمثل ويُفسر وفق فكرة ما وراء الطبيعة Supernatural لذا كان للسحر والدين والشعوذة والتعاويذ دور كبير في العلاج. إن الطب البدائي ليس له حدود زمنية ونرى في القرن الواحد والعشرين ممارسات هي من وحي الطب البدائي كالعلاج بالتعاويذ والعقاب والكي ..

### الطب عند الهنود:

اهتموا بالمداواة الطبيعية وبالوقاية من الأمراض وبتشخيص المرض ووصف الأدوية النباتية والحيوانية ومارسوا الجراحة في أضيق الحدود وكانت اهتماماتهم الطبية منصبة على الروحانيات. انتشر الطب الهندي انتشاراً واسعاً في بلاد العرب والفرس وقد نقل العرب عن السنسكريتية واللغة الهندية الكثير من الكتب.

### الطب عند الصينيين:

ارتبطت الأمراض عندهم بالفصول الأربعة ، فقالوا أن أمراض الصدر تحدث في الشتاء وإن الحميات تكثر في الخريف

وأن الأمراض العصبية تحدث في الربيع والأمراض الجلدية تحدث في الصيف.

كما عرف الصينيون القدماء الدورة الدموية والتبدلات التي تطرأ على النبض في الأمراض المختلفة ، وعرفوا العلاج الطبيعي واستخدموا اللقاحات وتوصلوا إلى صنع بعض الآلات الجراحية البسيطة وعرفوا غرز الإبر Acupuncture.

### الطب عن المصريين القدماء:

يرى بعض المؤرخين إن المصريين القدماء هم أول من وضع أسس علم الطب 2900 ق.م على يد إِمحوتب: أول طبيب عُرف عند المصريين القدماء وكان هذا سياسياً وكاهناً ومهندساً ، وظلت شخصيته تسيطر على مهنة الطب طوال العهد الفرعوني.

وقد بدأ التخصص عند الأطباء المصريين القدماء حيث يعالج الطبيب منهم مرضاً واحداً مما أدى إلى كثرة عددهم وكان الأطباء المصريين يعتبرون مهنة الطب مهنة إنسانية لم تقتصر على خدمة الفئات العليا في المجتمع.

إن أوراق البردي أشارت إلى أن المصريين كانوا يعتمدون على التعاويذ والسحر اعتماداً كبيراً يفوق اعتمادهم على العقاقير الطبية.

وقد انتشرت الأمراض لديهم ولا يزال قسم منها شائعاً في المجتمع المصري ، كالبهارزيا المعوية والديدان المعوية والسل وأمراض العيون ، وقد مارسوا تجبير الكسور والحجامة والختان وكانت لهم خبرة في التحنيط.

### الطب في بلاد ما بين النهرين Mesopotamia (الطب البابلي):

إن البابليين كانوا يعرضون مرضاهم في الساحات العامة خارج المدن وذلك لكي يتصل بهم المارة ويستفسرون منهم عن شكاوهم ، حتى إذا سبقت لأحدهم مثلها أرشد المصاب لاستعمال الوسائل والأدوية التي أدت إلى شفائه.

وقد نظمت قوانين **حمورابي** العلاقة بين الطبيب والمريض (هناك ست فقرات متعلقة بدستور مهنة الطب) حددت هذه الفقرات المسؤولية الطبية في حالة ارتكاب الأخطاء وأشارت هذه القوانين إلى أجور الأطباء وحددتها. وقد كانت في العراق وضواحيه مدارس طبية فيها ألواح تتضمن وصايا طبية وعلاجات.

قسّم البابليون الطب إلى ثلاثة أقسام:

- أ. طب الأعشاب
- ب. طب السكاكين (الجراحة)
- ج. الطب الروحي

استخدم البابليون التنجيم في الطب فحسبوا أن للكواكب والأبراج أثر في الولادة وفي وظائف الجسم وفي الأمراض وعلاجها.

ومن أشهر العلماء البابليين **هرمس البابلي** ، وقد ظلت المدينة البابلية الآشورية مسيطرة في بلاد العراق من سنة 4000 - 2300 ق.م. وكان الطب أهم ما عنيته به. كما اهتم البابليون بالصحة العامة وحماية البيئة من التلوث.

### الطب اليوناني Greek Medicine :

بدأ الطب اليوناني لاهوتياً يعتمد على معجزات الآلهة ، إن أول طبيب عند اليونانيين (1200 ق.م.) هو **أسقلابيوس Aesculapius** وهو أول من عرف الطب عن طريق التجربة وقد اكتسب شهرة واسعة حتى سرى اعتقاد بين الناس أنه يحيي الموتى ، وعلم أولاده وأقاربه مهنة الطب، وحرّم عليهم أن يعلموها لأي إنسان غير أولادهم.

### أبو قراط (370 - 460 Hippocrates ق.م.) :

هو أشهر الأطباء اليونانيين عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وكان متمكناً في العلوم الطبيعية فأدخل الطب في إطار

علمي مستعملاً الفحص السريري والاستنتاج المنطقي ، وكانت أهم مبادئ علاجه:

**1- مبدأ الحيوية:** اعتقد أن هناك عنصر خاص غير مادي يحيا به الجسد هو النفس Psyche وهو بمثابة نسيم عابر ينقرض بانقراض الجسد ، وهو المبدأ الحيوي للآراء الروحية السائدة في ذلك الزمن.

**2- مبدأ الأخلاط:** مبني على الاعتقاد بأن الأشياء مكونة من عناصر أولية أساسية : الحار والبارد والرطب واليابس ، فإذا كانت هذه الأمزجة في تناسق تمتع الجسد بصحة جيدة ، ولكن إذا زاد أحد هذه الأمزجة أو نقص أو امتنع عن الامتزاج بالعناصر الأخرى حدثت الأمراض.

**3- المبدأ الطبيعي أي محاكاة الطبيعة في المعالجة:** لقد تحقق لأبي قراط بالملاحظة أن هناك طبائع لا تتغير ، ذات صفات ثابتة ، ولكل مرض تطور طبيعي ونضوج محدود السير والمصير.

فصل أبو قراط الطب عن الشعوذة وبنى قواعد ثابتة للعلاج ورأى أن ينشر تعليم الطب بين الناس حتى لا تنقرض هذه الصنعة بانقراض نسل أسقلابيوس.

دوّن أبو قراط الطب في الكتب وأخرجه من دائرته الضيقة وعممه على الناس واعتبر الطب علماً مستقلاً إذ قال: (( الطب قياس وتجربة )) .

وضع أبو قراط مواصفات الطبيب منها: أن يكون حراً وفي طبعه جيداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً ، غير محب للفضة ، مالكاً لنفسه عند الغضب، أن يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه ، حافظاً لأسراره.

وقد وضع أبو قراط قسم الطبيب الذي لازال يُقسم من كل طبيب يتخرج من كليات الطب في أرجاء المعمورة إلى يومنا هذا.

أنشأ أبو قراط أول مستشفى في اليونان إلى جانب بيته أسماء مجمع المرضى ( أخسندوكين ).

### جالينوس (205 - 130 Galen ق.م.):

ولد في آسيا الصغرى ويعتبر من أشهر الأطباء الرومانيين ، ألف ما يزيد عن 400 مؤلف في الطب والصيدلة والتشريح وكان يجري تشريحه على الحيوان فغلبت الصورة الحيوانية على جسم الإنسان ، واعتمد العرب اعتماداً كبيراً على كتب جالينوس في تعليم التشريح. ومن أشهر كتبه كتب التشريح وعلم الوظائف للأعضاء وعلم الجنين وحفظ الصحة والأطعمة. وهو إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ، وكان أهم اختراعاته هو الترياق ، وقد ترجمت معظم كتبه إلى العربية.

### الطب عند الفرس:

كان مزيجاً من الطب اليوناني والهندي والمصري وقد جلب ملوك الفرس الأطباء الهنود والمصريين وقد نالت مدرسة جنديسابور الطبية الشهرة الواسعة ، وكان البيمارستان الملحق بها من أكبر وأشهر المشافي التي أسست قبل العصر الإسلامي بثلاثة قرون.

### الطب عند العرب قبل الإسلام:

كان العرب على اتصال وثيق مع الأمم المحيطة بهم في جاهليتهم فقد كانت لهم علاقات تجارية مع الحبشة ، كما كانوا على اتصال مع الفرس والروم. إلا أن الطب عندهم في هذه الفترة كان مبنياً على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارث عن مشايخ الحي وعجائزه ، وكان الساحر والكاهن طبيباً. وكان للطبيب في تلك الفترة مكانة مشرفة. وكانت أبرز وسائل العلاج عندهم الكي بالنار لاعتقادهم كغيرهم من الأمم السابقة أن سبب المرض هو الروح الشريرة. وعرف العرب تزويد المريض بالدم النقي عندما تنزف الجروح. وعرفوا العدوى وميزوا بين

الأمراض المعدية وغير المعدية وكيفية الوقاية منها ، وأقاموا معازل المجذومين وعرفوا أخطار الذباب وكانوا يطهرون بيوتهم بوضع الزعفران بداخلها حتى تبتعد عنها الزواحف والحشرات ، وحاولوا تفتيت الحصاة في الكليتين عن طريق شراب خاص يتناوله المريض ، وعرفوا علاج الأسنان واللثة .  
وأشهر أطباء تلك الفترة الحارث بن كلدة الثقفي: تعلم الطب في جنديسابور وقد عاصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ، ومن أقواله الشهيرة: ((دافع بالدواء ولا تشربه إلا من ضرورة ، فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله)).

### الطب النبوي:

لم يختلف الطب في صدر الإسلام كثيراً عما كان عليه في الجاهلية وقد اعتبر الحارث بن كلدة أول طبيب مسلم وهو أحد صحابة الرسول (ص).

الطب الإسلامي يتصل بالإسلام كدين إتصلاً مباشراً وقد اعترف بعض المستشرقين وخاصة جورجيو دار بالصلة الوثيقة حيث يقول أن الفروض والواجبات وغيرها من سنن ومستحبات تتصل بالصحة. إن تعاليم الإسلام تحسن الصحة فهي تدعو إلى القناعة وعدم الإسراف في الأكل والشرب ، والنظافة والإغتسال بالماء الطاهر خمس مرات في اليوم قبل كل صلاة ، وإن الصلاة مجموعة حركات رياضية ، وقد حرم الإسلام الخمر والقمار وجعل الإحسان فرضاً واجب الأداء وكان لذلك أثرٌ في بناء المشافي والمصحّات.

الطب النبوي: عبارة عن مجموعة من الأحاديث النبوية التي تحتوي على قواعد عامة لحفظ الصحة وهي تدور حول الإستحمام ، والأكل والشرب وغيرها من وصايا الرسول (ص) بالإعتدال في المعيشة والإبتعاد عن المسكرات إلى جانب المبادئ الأخرى والإجراءات الوقائية لحفظ الصحة. والطب النبوي يمثل الأحاديث التي جمعت لتمثل النصائح والإرشادات والمعلومات الصحية العامة. وكان الرسول الكريم (ص) دائماً يشجع طلب

المعرفة وخاصة فيما يتعلق بالصحة إذ يقول ((العلم علما : علم الأبدان وعلم الأديان)) وقد اعتبر الرسول صحة الجسم والعقل والنفوس عماد السعادة في الدنيا ، وكان (ص) يأمر بالتداوي ، وقد إنفرد الإسلام على يد الرسول الكريم بتحرير الطب من نفوذ الكهنة والسحرة ، والدين الإسلامي هو أول دين يعترف بالعلم والطب والدواء ، وبالرغم أن الناس كانوا يتوجهون إلى النبي (ص) للتبرك والشفاء إلا أنه كان يرشدهم إلى الإستعانة بالأطباء فيقول: ((تداووا عباد الله، فإن الله لم ينزل داء إلا وأنزل له دواء، إلا داء واحد. قالوا: ما هو؟ قال: الهرم)).

كما أمر الإسلام بمعاقبة أي نصّاب أو محتال يمتهن مهنة الطب دون شهادة أو علم أو دراية ، وقد حدد الإسلام المسؤولية الطبية أي مسؤولية الخطأ المهني فقد قال الرسول (ص) : ((من تطبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن)). ودعا إلى تشخيص المرض قبل العلاج وقال لأحد الأطباء: ((لا تداو أحداً حتى تعرف داءه)). وهكذا فإن الطب النبوي مجموعة من الأوامر والنواهي والإرشادات والوصفات لأدوية معينة كانت نافعة.

### الطب زمن الخلفاء الراشدين:

إتبع الخلفاء الراشدون سنة الرسول (ص) في العناية بالصحة العامة فقد كانوا يقدمون الإرشادات إلى الناس للإهتمام بصحتهم وضرورة البحث عن العلاج. وقد أهتم **عمر بن الخطاب** بالطب وله عبارات شهيرة تتعلق بالصحة العامة: ((إياكم والبطننة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسم ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة)). وقال أيضاً: ((إياكم والإكثار من اللحم فإن اللحم ضراوة مثل ضراوة الخمر)).

وكان الخلفاء الراشدون يبعثون الأطباء مع الجيوش ، وقد

أمر  
الإمام عليؑ بمعالجة أربعمئة مقاتل أصيبوا بمرض مفاجئ

وأمر بإرجاعهم إلى الكوفة ، ومن أشهر النساء المسلمات اللاتي  
إشتغلن بالطب:

- 1- **الشفاء بنت عبد الله**
- 2- **رفيدة** (كانت متميزة بالجراحة)
- 3- **أم عطية الأنصارية**

## الطب والتطبيب زمن الأمويين:

إهتم الأمويون بالتطبيب خاصة بعد إتساع رقعة دولتهم  
وأصبحت دمشق مركزاً للثقافة والعلم.  
لقد إهتم الخليفة **عمر بن عبد العزيز** بترجمة كتب الطب من  
اللغة السريانية إلى اللغة العربية وقد أمر **الوليد بن عبد الملك** في  
عام 88 هـ ببناء بيمارستان بدمشق وجعل فيها أطباء.

من أشهر الأطباء في هذا العصر:

**إبن آثال:** كان نصرانياً وكان خبيراً بالأدوية المركبة والمفردة.  
**أبو الحكم:** كان نصرانياً أيضاً.

**تياذوق:** كان طبيباً فاضلاً ، وقد إشتهر بكفائته الطبية وجعله  
**الحجاج بن يوسف الثقفي** طبيبه الخاص لثقته الكاملة به ، وقد كان  
يقدم النصح والإرشاد له في شؤون حياته لكي يحافظ على صحته  
وكان ينصحه أن لا يشرب الدواء إلا من علةٍ ولا يأكل الفاكهة إلا  
في أوان نضجها وأن يجيد مضغ الطعام وإذا أكل في النهار  
يستطيع النوم أما إذا أكل في الليل فلا بد أن يمشي ولو خمسين  
خطوة وكان يوصيه ألا يأكل حتى يجوع وأن لا يحبس البول.  
وقد ترك هذا الطبيب مجموعة من النصائح الوقائية التي أمر  
أحد الملوك أن تكتب بالذهب الأحمر وتوضع في صندوق من  
ذهب مرصع.

وقد ترك هذا الطبيب كتاباً كبيراً ألفه لإبنه وهو كتاب (إبدال  
الأدوية ، وكيفية دقها ، وإبقائها وإذابتها وشيء من تفسير أسماء  
الأدوية) ، وقد توفي هذا الطبيب سنة 90 هـ بواسطة.



## المدارس الطبية في العصر العباسي:

كانت تعتمد على فهمين: نظري وعملي ، وذلك بمشاهدة الطلاب كيف يُفحص المريض من قبل الأستاذ وما يقرر من علاج ثم التطبيق العملي على المرض. وكان إهتمام الأطباء المسلمين بالملاحظات السريرية (دراسة سير المرض وتطوره).

وقد لعبت المدارس الطبية دوراً عظيماً في وضع الأساس المتين للطب عند العرب ، فقد ساهم كثير من أطباء العرب في هذا النشاط مثل حنين بن إسحاق وثابت بن قرة الحراني.

وقد وضع للأطباء نظام لا يُسمح فيه للطبيب بممارسة صناعة الطب ، إلا بعد اجتيازهم إمتحان يُعيّن على يد رئيس الأطباء وكان الذي يقوم بهذه المهمة في بداية الأمر الطبيب العربي العظيم سنان بن ثابت بن قرة حيث كان النظام الطبي يخضع للتشخيص الدقيق فقد كان هناك الطبيب العام ، والفاصد والكحال والأسناني وطبيب النساء وطبيب المجانين.

أشهر علماء الطب العربي الإسلامي:

1. أبو بكر الرازي
2. أبو القاسم خلف بن العباس
3. الزهراوي  
إبن سينا

أبو بكر الرازي (923 م ، 311 هـ) :

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، ولد في الري ثم سافر إلى بغداد وبقي فيها روحاً طويلاً من الزمن ، وتعلم صناعة الطب عن كبر ، كانت له تجربة سريرية واسعة ، درّب عدداً كبيراً من الطلاب .

طلب منه الخليفة العباسي **عضد الدولة** في إختيار موقع البيمارستان العضدي ، بأن علق في كل ناحية من جوانب بغداد شقة لحم ثم اعتبر مكان القطعة التي لم تتغير رائحة اللحم فيها المكان الملائم لبناء ذلك البيمارستان ، وقد أثارت هذه الطريقة إعجاب الباحثين في الوقت الحاضر ، واختير الرازي ليكون رئيساً للمستشفى .

إن **أبا بكر الرازي** يعتبر أهم من وضعوا الأسس الراسخة والقواعد الثابتة لتعليم الطب وممارسته ، وقد ظهر إبداع الرازي في رسالته التي ألفها في الحصبة والجذري في التشخيص والوصف .

يختلف الرازي عن الأطباء اليونانيين في التجربة الموجهة . وقام بإجراء التجارب على الحيوانات ، وأشهر مؤلفاته كتاب الحاوي ، كتاب دفع مضار الأغذية ، كتاب برد الساعة ، كتاب المرشدد ، كتاب الفاخر في الطب . سماه **إبن أبي أصيبعة** صاحب كتاب الشهير (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) بجالينوس العرب ، وأصبح متوقفاً في العلوم الأخرى مثل الفلسفة وعلم النفس والكيمياء .

كان كريماً باراً بالناس ، يرأف بالفقراء ويعالجهم بالمجان ، وكان يرى أن التجريب علم له أصول وفروع وعلى الطبيب أن يتقن **الأصول** ويلم بالفروع فهو يحذر من فهم جهال الأطباء للتجربة .

وحذر من إضاعة المال والوقت في التنقل من طبيب إلى آخر ،

والإعتماد على طبيب واحد فقط عارف بتاريخ المرض وأحواله . التجربة الموجهة: عندما أراد أن يتحقق من أثر الفصد كعلاج للسرسام (ورم في الدماغ) جعل مرضاه على مجموعتين ، يعالج

أحدها بالفصد والثانية بدونه وراقب النتائج، إلى أن وصل إلى الحكم في قيمة العلاج. وإهتم بتاريخ المرض.

### أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي:

أكبر جراحي العرب ، ولد في الزهراء في قرطبة وكان طبيباً للخليفة المعتصم ، له كتاب (الزهراوي) وكتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) وهو أكبر تصانيفه وأشهرها ، وكان هذا الكتاب دليل جراح أوربا.

وقد شرح الزهراوي العمليات الجراحية وبيّن آلتها وهو أشهر أطباء الأندلس في ذلك العصر وأشهر الجراحين العرب على وجه الخصوص، وقد تحولت الأندلس إلى مركز إشعاع علمي أنار الطريق أمام أوربا.

### ابن سينا (428 هـ ، 1037 م) :

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، شيخ أطباء المسلمين وأميرهم. كانت عبقريته من النوع الذي لا يستقر على حال فكانت حياته مشوبة بالغرابة فقد كان يقضي الليالي بلا نوم مكباً على الكتابة والقراءة وإذا أتاه النوم تناوبته الأحلام فيما كان يقرأ ولكنه مع ذلك كان منظماً حياته.

وكان أهم كتاب له ذائع الصيت هو كتاب القانون في الطب فكان كتاباً يفوق كتب جالينوس و أبو قراط قدراً ومعرفة وكان يدرّس في جامعات فرنسا وإيطاليا في القرن السادس عشر والسابع عشر.

وكان ابن سينا يستخدم إجراء التشخيص المقارن بين الأمراض المتشابهة والاستدلال بالبول والنبض والبراز. وضع وصفاً صحيحاً للالتهاب السحائي ولم يترك جانباً من فروع الطب إلا بحث فيه ، واعتنى بالنواحي النفسية وربطها ربطاً كاملاً في العلاج ، فقد قدم للإنسانية أعظم خدمة في مجال الطب.

## النتائج المستخلصة من دراسة تاريخ الطب العربي:

- 1- قام الأطباء العرب بدراسة التراث الطبي في الحضارات القديمة دراسة موضوعية شاملة ولم يهملوا جانباً واحداً.
- 2- كان تشجيع الخلفاء المسلمين وخاصة في زمن الدولة الأموية والعباسية الأثر الكبير في تقدم الحركة العلمية في ميدان الطب.
- 3- لم يكن الأطباء العرب مجرد ناقلين عن التراث الطبي السابق بل صححوا كتب الأولين وأضافوا إبتكارات جديدة لم تكن معروفة من قبل. وألفوا عشرات الكتب الطبية.
- 4- لأول مرة في التاريخ نشأ على يد علماء الطب العرب ما يسمى بالتخصص الدقيق مثل طب العيون، وطب النساء، والأطفال، والأمراض النفسية والعصبية.
- 5- تفرع علم الطب عندهم إلى عملي ونظري. فقد لجأ الأطباء إلى الإسلوب العلمي في التشخيص والعلاج ونشأ عن هذا التفرع إخضاع العمليات الطبية للتجربة.
- 6- ادخل التخصص في البيمارستانات حيث أصبحت مستشفيات متكاملة تحتوي على أقسام متعددة بل تحولت إلى كليات طبية تخرج عشرات الأطباء في مختلف الإختصاصات.
- 7- توصل الأطباء العرب إلى نظريات وإكتشافات جديدة في الطب مثل إكتشاف الدورة الدموية الصغرى.
- 8- تم على يد علماء العرب الفصل بين مهنة الطب والصيدلة.
- 9- كان الأوربيون لا يعرفون شيئاً عن الطب وتمكنوا عن طريق الإطلاع على المؤلفات العربية وترجمتها بناء علم الطب لديهم وكان تأثير العرب واضحاً عندما نشأت المدارس الأوربية في جنوب إيطاليا وفرنسا.
- 10- تمكن العرب من وضع قواعد وأسس علم الطب الوقائي حيث كان هناك نظام خاص للوقاية يسمى (نظام الحسبة)

وكان المحتسب شخصاً متديباً ضالماً في هذه المهنة يُختار من أشرف الناس وأنزههم له صلاحية القاضي وسطوة الحاكم ، يراقب الأصحاء في المدينة كالخبازين والحلاقين ودافني الموتى والمعامل المختلفة كمعاصر الزيت والشيرج.

Printed by: MMA Software (www.mma-software.com)